الدكتور زكريا سليمان بيومي
كلية التربية ـ جامعة المنصورة

مصر الحديثة
بين
الانتماء العقائدي .. والقومي

يطلب من : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبـــعة الأولى

١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر ٣ عين الدين الموصلي
محمد عبد الرؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

من الأمور المســلم بها هى أن العقيدة تعد أساسا هاما ومصدرا رئيسيا فى البنــاء الثقافى للعقلية المصرية منــذ فجر التاريخ • فهى كما وصفها الأستاذ « عباس العقاد » : « أمــة توارثت العقائد والمأثورات جيلا بعد جيل وأصبح لها من بعض تلك العقائد تراث تصونه فوق صيانة المصلحة وتغار عليــه أشــد من غيرتها على المــال والثروة » • وتقــول الدكتورة « نعمات أحمد فؤاد » : بأن مصر بلد الايمان على الرغم من أنها غيرت شــكل دينها عــدة مرات ولكن جوهر الدين فى قلبها واحــد عبر الأخناتونية والمسيحية والاسلام •• وهو توحيد يتمثل فى وحدة الله ووحدة الوجود[1] •

فالمصريون يجتمعون ويختلفون حول « رع » و « آمون » و « آتون » • حتى غــزاة مصر يتأثرون بمنهــج المصريين أو ينافسونهم من خلال العقيدة ، فيتخذ الهكسوس الها مصريا هو الاله « ست » ، ويهدد ملك الهكسوس فى الشــمال الملك

---

(١) عباس العقاد وآخرون : صوت مصر ــ القاهرة ــ مايو ســنة ١٩٧٥ م.

المصرى فى طيبة فى جنوب مصر بأسلوب عقائدى « ان صوت الهكم يزعج الاله ست فان لم تسكته سنأتى لتسكته » . ويتجمع المصريون لنصرة آلهتهم ، ويموت « قمبيز » ملك الفرس مطعونا فى فخذه انتقاما لآمون ، ويسوق الاسكندر المقدونى من القصص ما يؤكد به أنه ابن الفرعون الاله حتى يتمكن من دخول مصر والاستقرار بها ، وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يهيىء مصر والمصريين لاستقبال رسالاته وأنبيائه .

وبعد أن نزلت هذه الرسالات التى انتهت بالدين الخاتم وهو الاسلام فهذبت عقائد المصريين ، فانه من السذاجة أن يتصور البعض ضعف الانتماء العقائدى عندهم ذلك الانتماء الذى تمتد جذوره فى أعماق تاريخهم الطويل مهما بدا على السطح وفى فترات محدودة من تزاوج هذا الانتماء مع انتماءات أخرى . بل ان الخصائص العقائدية التى تميزت بها مصر عبر عصور تاريخها كان مقوما هاما من مقوماتها القومية التى كانت لها صياغتها الخاصة البعيدة عن التعصب والعنصرية .

وقد دعانا ذلك الى كتابة هذا البحث فى محاولة مختصرة لتحديد مفهوم الانتماء وتتبع تطوره بين الوطنية والقومية والاسلامية فى مصر الحديثة .

والله ولى التوفيق

د . زكريا سليمان بيومى

الفصل الأول

القومية ...

- تعريفها .
- طبيعة الانتماء عند المسلمين .
- بين الوطنية والاسلامية .

القوميـــة ...

● **تعريفها :**

هنـــاك عديد من العقبات تواجه الباحث اذا ما أراد دراسة علمية فى هـــذا الموضوع ، ولا تقتصر هـــذه العقبات على محاولة تحديد تاريخ نشـــأة الفكرة القومية ، بل تتعداها الى تحديد معنى الكلمة فى حـــد ذاتها • وعلى الرغم من الجهود التى بذلها ويبذلها الباحثون فى دراســـة القومية من حيث مفهومها كنوع من الولاء للجماعة يحرك الانسان ويحفزه الى أبعد حـــد ممكن فى وقتنا الحاضر[1] ، الا أن ما أصابه بعضهم من النجاح كان بنسب متفاوتة ، وأن أياً منهم لم يصـــل الى تحديد دقيق لا لتاريخ الفكرة ولا حتى لمعناها • بل ان ما واجهه هؤلاء من اهمال واضطراب فى التعاريف قد جعلهم يضعون تعاريف خاصة بهم الأمر الذى أدى الى مزيد من العقبات فى طريق البحث العلمى • على أن ذلك لا يمنع الاستمرار فى البحث ـــ بل هو واجب ـــ فى محاولات لاجلاء الغموض حول فكرة كهذه كان ومازال لها تأثيرها فى فكر الشعوب حتـــى ولو بقيت علامات استفهام حول بعض جوانبها •

---

(١) بويد شيفر : القومية ـــ ترجمة جعفر خصباك وعدنان الحمرى ص ٦٥

أما عن معنى الكلمة فهى عند الانجليز والأمريكان والفرنسيين تعنى « Nationality » أى جنسية البلد التى ينتمى اليها المواطن • وعند الألمان تعنى « Nationalital » أى العرق والسلالة أكثر مما تعنى وضعا سياسيا شرعيا[٢] •

وعلى الرغم من أن الكلمة مشتقة من أصل واحد الا أن معناها قد اختلف عند الألمان عنه عند الانجليز والفرنسيين والأمريكان ، كما أن السوفييت قد ميزوا بين المعنيين حيث حددوا فى جوازات سفر مواطنيهم ما يوضح جنسيتهم وكذلك العرق والسلالة • والتحليل الماركسى للقوميات بصفة عامة يذهب الى جعلها أداة لخدمة مصالح الطبقة البورجوازية التى تريد بناء دولة واسعة لتوسيع السوق أمامها[٣] • وهناك بعض الدول التى تهتم الى جانب ذلك بتوضيح اللغة والدين والعنصر وعوامل أخرى لتحديد القومية[٤] •

---

(٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، للدكتور : نبيل صبحى ص ١٠٦ ، وقد اتجه كثير من القوميين الألمان فى مطلع القرن التاسع عشر من امثال , Fichte , Gorres John , Arndt الى القول بأن الألمان « لم تتسخ دماؤهم بالتزاوج مع شعب اجنبى غريب ، وان الألمان السعداء كانوا شعبا اصيلا » . بويد شيفر : المرجع السابق ص ٢٢٣ .

(٣) د . صلاح العقاد : الفكرة العربية فى مصر — مجلة الجمعية التاريخية لعام ١٩٧٣/٧٢ ص ١٦٥ . ، د . نور الدين حاطوم : تاريخ الحركات القومية — ج ١ ص ٥ ، بويد شيفر : المرجع السابق ص ١٤٣ .

(٤) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ص ١٠٧ . =

ومن هنا فان الرأى القائل بأن الخصائص القومية هى من نتاج الطبيعة وحدها ليس من الصواب فى شىء ، بل هى — تعنى فى رأى البعض — نتاج الثقافة والحكومة والمؤسسات والظروف الاقتصادية والعلاقات العائلية والاجتماعية والتدريب فى الصغر والتربية والدعاية والغذاء والصحة والبيئة العامة ؛ أى أنها نتاج كل شىء وأى شىء انسانى يدخل فى اطار الزمان والمكان ، ومثل هذه الخصائص لا يشترك فيها جميع الأفراد فى أمة معينة لأنها تختلف باختلاف الثقافة[٥] ، وأن فكرة الجنس نفسها ليست الا اختراعا ثقافيا كطريقة استغلال النعرات من أجل الحصول على مكاسب شخصية أو جماعية وان أخفاها البعض باسم دراسة البشر[٦] .

* * *

= وقد اتخذ مجموعة كبيرة من العلماء فى أوروبا فى القرن الثامن عشر العنصر (Race) طريقة واساسا لتصنيف البشر على أساس الخصائص الطبيعية وخصوصا لون البشرة وشكل الجمجمة . وفى القرن التاسع عشر اضافت مجموعة اخرى الخصائص العقلية والروحية كذلك . بويد شيفر : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٥) بويد شيفر : المرجع السابق ص ١٤١ ، ١٤٢

(٦) عن أوجه الخلاف والتقابل بين افكار الجنس والأمة أنظر : فردريك هرتز : القومية فى التاريخ والسياسة ، د . عبد الكريم أحمد ، و د . ابراهيم صقر ص ٦٢ .

● **طبيعة الانتماء عند المسلمين :**

ولا ينطبق معنى الكلمة ومدلولها السابق عند المسلمين ، فالسلالة والأرض واللغة عندهم كلها أمور ثانوية ولا اعتبار فى الانتماء الا لوحدة العقيدة والمبادىء المستمدة من الايمان بالله وبرسوله محمد ﷺ • وتبدو قضية الصراع بين الانتماء العرقى ــ أى الانتماء لمجموعة يجمعها وحدة الجنس ــ والانتماء العقائدى ــ أى الانتماء لمجموعة يجمعها وحدة الاعتقاد ــ واضحة جلية فى القرآن الكريم لا فى سيرة النبى محمد ﷺ فقط بل وفى سير الأنبياء جميعا ، فليس من قبيل المصادفة أن يكون أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ابنا لصانع الأصنام ، بل لابد أن يختبره الله ، وليوضح للناس جميعا من خلاله ، أن الانتماء العقائدى يعلو على كل انتماء • ويعارض ابراهيم أباه وقومه ويحاول أن يغير انتماءهم ، لكنه لا ينجح فى ذلك ، فيضطر ــ بأمر ربه ــ أن يهاجر الى مكان آخر يستطيع فيه أن يكون مجموعة ينتمى معها للقيم والمبادىء التى أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغها • ويصفه الله بعد هجره لأبيه مفضلا الانتماء العقائدى «**ان ابراهيم كان أمة**»(٧)، ثم يوضح أبعاد الأممية بوصفه لابراهيم أنه « **قانتاً لله** »(٨) .

كذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يختبر نوح عليه

---

(٧) النحل : ١٢٠.

(٨) النحل : ١٢٠.

السلام فى أهله وابنه ، فبعد أن حاول أن يضم ابنه للمجموعة العقائدية التى ينتمى هو اليها « **يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** »[٩] ، وبعد أن رفض ابنه ذلك سأل نوح ربه « **ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق** »[١٠] فصحح له المولى سبحانه وتعالى ثانيا مفهوم الأهلية وحقيقة الانتماء « **انه عمل غير صالح** »[١١] .

وكذلك السيد المسيح عليه السلام لم يأبه بخاصته الذين لم يقبلوا دعوته ، وجاهد حتى أصبح له خاصة أخرى من الحواريين الذين آمنوا برسالته وتحملوا عبء نشرها .

وأيضا لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون عم النبى محمد ﷺ أبو لهب ، وأمره المولى بعد أن حدد له وجهته فى الانتماء أن ينذر عشيرته الأقربين ، وحينما اختبر بموقف عمه أبى طالب حيث حاول اثناءه عن اصراره على تحدى قومه من قريش ، وقف من عمه موقفا متطرفا — وهو المعروف بالتسامح — وعصى عمه الذى رباه — وهو الذى دعا الناس لطاعة المربى — وحدد موقفه بين الانتماء العرقى والانتماء العقائدى فى قوله ﷺ « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

---

(٩) هود : ٤٢ (١٠) هود : ٤٥

(١١) هود : ٤٦

واذا كان كتاب الغرب يستخدمون كلمة الايمان خاليـة من معناها حيث تعبر عندهم عن الدين والقوة الاجتماعية فى الأمة عند الاشـارة للمسلمين[١٢] ، فان المدلول النظرى عند المسـلمين لمضمون ومعنى الايمان يخالف ذلك . فالمسلم أخ المسلم فى أى مكان فى العالم مهما كانت لغته وسلالته وبلاده ولا فضـل لعـربى على عجمـى ولا لأبيض على أسـود الا بالتقوى[١٣] .

ويعرف واحد من كتاب الغرب «القومية» : بأنها شعور يوحد جماعة من الناس لهم خبرة تاريخية مشتركة ، حقيقية أو مبالغ فيها ، ورغبة فى العيش جميعا فى المستقبل كجماعة

---

(١٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الاوسط ص ١٠٧ . وقد حذر كثير من الكتاب عن الخلط بين القومية والعصبية والعنصرية عند العرب لان كثير ممن ينتسبون الى الأمة العربية كمصر وشمال افريقيا ليسوا عربا اقحاحا ، والتقى الدكتور عبد الرحمن البزاز فى هـذا مع أصحاب الاتجاه الاسـلامى فى أن العربى هو عربى اللسـان لكنه أغفل ضم شـعوب اسلامية لا تنطق العربية وهو وجـه الخلاف بينه وبين دعاة الجامعة الاسلامية . د . عبد الرحمن البزاز : بحوث فى القومية العربية ـ القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

(١٣) ظل المسلمون فى كثير من أجزاء العالم الاسلامى وخلال فترة طويلة من حكم الخلفاء يخضعون لحاكم غير تابع لجنسيتهم لمجرد أنه ينتمى الى مجموعتهم العقائدية ، اى مسلم ، وحقق كثير من هؤلاء الحكام انتصارات عديدة على اعداء المسلمين الأمر الذى يؤكد تفـوق الانتماء العقائدى على الانتماء الجنسى عنـد أغلب الشـعوب الاسلامية .

مستقلة ، وتعبر هـذه العاطفة الموحدة عن نفسها بالولاء للدولة القومية أياً كانت حكومتها ، ومحبة أرض الوطن مهما كان المعروف عنها قليلا ، والاعتزاز بالثقافة والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المشتركة . وفى التحمس الشـديد لا من أجل سـلامة الجماعة القومية فحسب بل من أجل مجدها وتوسعها كذلك[١٤] .

واذا كان هناك اتفاق ظاهرى فى التعريف بين مفكرى الغرب والمفكرين المسلمين فان الاختلاف بينهما ـ من الناحية النظرية ـ جوهرى لاختلاف طبيعة الولاء حيث ان المسـلم ينبغى أن يكون ولاءه لله ـ أى لمجموعة عقائدية ـ أولا ثم لأى حاكم مسلم تثبت أمانته فى تنفيذ شريعة الله . أى أن الاسلام دين شـمولى كلى لا يعترف بالفوارق القومية ، وليس مقوما من مقوماتها[١٥] ، وأنه أسـاس لقومية ـ اذ جاز ذلك ـ عقائدية .

* * *

● **بين الوطنية والاسلامية :**

وعلى الرغم من أن كلمة القومية قد قرنت عنـد بعض

---

(١٤) بويد شيفر : المرجع السابق ص ٦٧ وما بعدها ، ص ٧٥ ، د . جمال الدين محمد محمود : قضية العودة الى الاسلام فى الدولة والمجتمع ص ١٨

(١٥) ساطع الحصرى : محاضرات فى نشوء القومية ص ٢٠

الباحثين بكلمة الوطنية دون مراعاة لتحديد الفرق بينهما ، فانه يجب الحذر كل الحذر فى الخلط بين الكلمتين ، ففى الوقت الذى عرفت فيه الوطنية ظاهرا بالحب والوفاء للبلد الذى يعيش فيه الفرد الأمر الذى جعلها أقل انتقادا ، انحسر تعريف القومية على السلالة والعرق وبالتالى ولدت نوعا من التعصب اقتصر حبه على دعاته فقط[١٦] .

وليس هناك تاريخ محدد لظهور الحركة القومية ، ولا يعنى ذلك مجاراة دعاتها الذين أرادوا أن يسبغوا على فكرهم عمقا تاريخيا تحت ستار رؤية الفكرة قبل ظهورها حيث راحوا يفسرون أحداث التاريخ البعيد من خلالها ، وذلك برغم تسليمنا بأن عوامل تكوينها قد سبقت ظهورها من حيث الزمن .

ويتفق المؤرخون على أن جذورها فى الغرب ترجع الى حرب الاستقلال الأمريكية والثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر ، لكنها لم ترق الى درجة العقيدة عند أغلب الشعوب الأوروبية ـ والصغيرة منها بالذات ـ الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر[١٧] ويرجع المؤرخون ذلك الى عدة أسباب من أهمها عدم رغبة الشعوب الصغيرة فى

---

(١٦) د . عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ص ٢٦٣

(١٧) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ١ ص ٦٧ ؛ د . محمد زكى العشماوى : الأدب وقيم الحياة المعاصرة سنة ١٩٧٤ ج ٢ ص ٢٣٤ ؛ بويد شيفر : المرجع السابق ص ٦٨

الارتباط بعجلة الدول الكبرى التى تسوق أبناءها فى الحروب الاستعمارية لصالحها ، كما كان للتقسيم الصناعى أثر فى تقوية هذه النزعة عند هذه الشعوب ، أضف الى ذلك عاملا هاما وهو الصراع بين دول أوروبا على السبق فى السيطرة على بلاد الشرق[١٨] .

واذا كانت حملة « بونابرت » — فى أواخر القرن الثامن عشر — وما سبقها ولحقها من دراسات فردية وجماعية أوروبية للفت انتباه شعوب المنطقة العربية والشعوب الخاضعة للدولة العثمانية لحضاراتها القديمة ، الا أن الشعور القومى لم يتبلور وبشكل واضح الا فى نهاية القرن التاسع عشر . وقد ظهر هذا الاتجاه فى « باريس » حيث أقيمت جمعية أصدقاء الأمة اليونانية ، وفتحت كذلك الدار اليونانية ، وهناك جمعيات أخرى مثل جمعية « محبى الهلينية » وجمعية « محبى الالهام » . وكذلك أقام بعض قناصل الغرب فى « أثينا » نفسها جمعيات مماثلة مثل « فوريل » قنصل فرنسا الذى أسس جمعية أثرية وأدبية تحولت بعد ذلك الى جمعية سياسية ، كما أسهم هؤلاء القناصل فى رواج الأغانى الشعبية اليونانية التى كان لها أكبر الأثر فى انجاح فكرتهم[١٩] . على

---

(١٨) د . محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٦٨

(١٩) د . نور الدين حاطوم : تاريخ الحركات القومية — ج ١ ص ٢٢١ ، د . صلاح العقاد : الفكرة العربية فى مصر ص ١٤٨ ، ١٥٠

أنه اذا كان المبرر الظاهرى للحكومات الأوروبية من اقامة مثل هـذه الجمعيات هو اسـتقبال اليونانيين ومسـاعدتهم على استكمال دراستهم فى الغرب ، الا أن الاتجاه فى عمومه لم يخل من نزعة العداء للاسلام وللشعوب الاسلامية .

وعلى الرغم من أن الانتماء العقائدى قد فاق كل انتماء فى الاسـلام من الناحية النظرية فى الغالب ـ حيث لم يتم تطبيقه الا فى فترة وجيزة ـ الا أن بعض العناصر الأعجمية لا سيما الفرس قد ظلت تضمر الامتعاض من السيادة العربية . على أن ذلك لا يمكن تفسيره على أنه عداء للاسلام أو الكيان الاسلامى ، وان كان قد ساوى ـ على الأقل ـ بين انتمائهم العقائدى وانتمائهم القومى الذى عبر عن نفسه بالسيطرة على الحكم الفعلى فى فترة من فترات ضعف الخلافة العباسـية تاركين للعرب الزعامة الاسمية ، ثم تطور وأخذ شـكلا مذهبيا شـيعيا ضد العالم السنى العربى فى أغلبه[٢٠] . وكذلك فان سماحة الاسـلام فى ترك حرية ممارسة العقائد لغير المسلمين قد أدت ـ وهو أمر طبيعى ـ الى عدم انتماء هـذه الأقليات للمجموعة العقائدية الاسلامية ، واحتفاظهم فى الوقت نفسه بالسمة العقائدية ، وظل هذا الشعور كامنا حتى تفجـر ـ بمساعدة الدول الأوروبية ـ ضد الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر .

---

(٢٠) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٢٤

أما عن انتقال الفكرة الى تركيا والولايات العربية الاسلامية فكان تيار الوطنية أسبق من القومية ، ويرجع ذلك الى اقترانها فى نفوس الجماهير بفكرة التحرر من ربقة الاستعمار الأوروبى ، فضلا عن أنها لا تتعارض مع روح الشريعة الاسلامية[٢١] • فقد امتلأت تعاليم الاسلام بالحض على حب الوطن ، فاعتبر النبى ﷺ أن حب الوطن من الايمان ، ودعا المسلمين للدفاع عنه حيث اعتبر أن من يموت دون وطنه شهيد ، وكذلك دعا الى أن كل مسلم فى أى موقع هو فيه على ثغرة من ثغرات الاسلام : « الله الله أن يؤتى الاسلام من قبله » ، وقد أكد النبى ﷺ هذا المعنى فيما قاله عن مكة عند الهجرة حيث قال : « والله انك لأحب بلاد الله الى الله ، وأحب بلاد الله الى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » •

وقد عبر كثير من الكتاب المسلمين عن هذا المعنى « كالجاحظ » ، والجغرافى السورى « ابن شداد » ، والشاعر التركى « على شارفغاى » ، والصحفى التركى « شيبازى » الذى بعث رسالة الى أمه أعرب فيها عن استعداده للتضحية بنفسه فى سبيل الوطن[٢٢] ، وكذلك كثير من الشعراء والكتاب

---

(٢١) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٢٤ ، د • عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ص ٤٨٦ ؛
Kushner , David : The rise of the Turkish nationalism, P. 41.

(٢٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٨

فى العصر الحديث • على أن الانتماء للمجموعة العقائدية يسبق الارتباط بالأرض « الوطن » عند المسلمين وهـذا ما يوضحه ما قاله النبى ﷺ فى مكة حيث ان تفضيلها كأحب بلاد الله اليه جاء تابعا لمكانتها عند الله ، ويوضح كثير من المفكرين المسلمين هـذا المعنى فى الترديد الدائم لقول الشاعر :

وأينما ذكر اسم الله فى وطن حسبت أرجاءه من لب أوطانى

ومن العوامل الهامة التى أسهمت فى رواج الفكرة الوطنية هى أنها قد لقيت استحسانا من بعض حكام الولايات الخاضعة للدولة العثمانية والتى تتمتع بشىء من الاستقلال وفى مقدمتها مصر حيث رأوا فى الوطنية ما يؤيد هـذا الاستقلال فى نظر الجماهير التى كانت مازالت مرتبطة بسلطة الخليفة أكثر من ارتباطها بالحاكم معنويا على الأقل ، لكن تشجيع هؤلاء الحكام لفـكرة معنوية كالوطنية لدى الجماهير قد عاد عليهم بعكس النتيجة المرجوة وذلك لأن الجماهير التى آمنت بها ــ وخصوصا طبقة المثقفين ــ ارتبطوا بهذه الفكرة أكثر من ارتباطهم بشخص الحاكم ، وكانت مصالح أغلب الحكام تقوم على حساب مصالح الوطن ، لذلك ظهرت كثير من الانتفاضات التى هدفت التقليل من سلطة الحاكم والمطالبة بمنح مزيد من السلطات للجماهير ، الأمر الذى ألجأ كثيرا من الحكام للاستعانة بقوى الغرب وكان ذلك تمهيدا للتدخل ثم الاحتلال •

وقد بدأت الدعاية للفكرة فى تركيا ــ كأثر لانتشارها فى

أوروبا والبلقان ــ على يد مجموعة أطلق عليهم « الوطنيون المتحررون الأتراك » بزعامة «نامق كمال» وكانوا يسمون أنفسهم « الشبيبة العثمانية » وذلك فى مطلع القرن التاسع عشر ، وجاءت حرب القرم (١٨٥٠ ــ ١٨٥٣) بين تركيا وروسيا والتى ساندت فيها دول الغرب تركيا كانت فرصة روج فيها الغربيون لفكرة الوطنية حيث كانت الصحافة أوسع انتشارا فى هـذه الفترة بسبب تتبع الأتراك لأخبار الحرب[٢٣] ، وكان نتيجة ذلك أن نادت مجموعة «الشبيبة العثمانية» بنظام أكثر تحرراً سياسيا فى الامبراطورية مستندا فى أساسه على برامج وطنية ، وكتب زعيم المجموعة عديدا من قصائد الشـــعر والمقالات التى كان لها أثر كبير فى رواج الفكرة الوطنية • لكن « نامق كمال » فى دعوته للوطنية لم يكن متطرفا وكانت تعنى عنده الامبراطورية العثمانية كلها ، ولم يستخدم كلمة الأتراك الا نادراً وان كان يعنى بها العثمانيين المسلمين ، كما لوحظ قصر اهتمامه بتاريخ تركيا على عصر ما بعد الاســـلام[٢٤] • وعلى الرغم من أن

---

(٢٣) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٨

(٢٤) المرجع السابق : ص ١١٩ ،

Kushner, David : The rise of the Turkish nationalism 1876 - 1908 . P . 42 .

وانظر ايضا :

Smith, Wilfred Cantwell : Islam in modern history P . 54 .

البعض قد أوضح أن هدفه خدمة الاسلام الا أن كثيرا من المسلمين السنيين لا يضعونه فى قائمة مفكريهم . ومن هنا يتضح أن وحدة المذهب « السنى » بين العرب والأتراك قد أخر بروز ملامح كلا القوميتين العربية والتركية ، فى حين كان انفراد الفرس بالمذهب الشيعى سببا فى البروز المبكر للقومية الفارسية[٢٥] .

* * *

(٢٥) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٤٠

الفصل الثانى

تطور فكرة الوطنية
فى مصر الحديثة

تطور فكرة الوطنية .. فى مصر الحديثة

أما عن انتقال الفكرة فى البلاد العربية فقد ظهر صداها أول ما ظهر عند مجموعة من المثقفين ــ وكان أغلبهم من النصارى ــ اللبنانيين الذين دعوا لقيام دولة على أساس وطنى لا على أساس دينى ، وقد وجد الغرب فى مدارس التبشير وهؤلاء المثقفين عاملا هاما يساعد على ذيوع الفكرة وانتشارها[1] ، وكان من المأمول أن يحد عامل اللغة والحضارة عند نصارى لبنان من تطرفهم فى الدعوة للفكرة ، فضلا عن موقف الاسلام من الأقليات الدينية والمتسم بالسماحة ، وهى أمور أسهمت فى عدم وجود ذكريات لهوية قومية لهم ــ وهم يخالفون بذلك نصارى الأناضول وأرمينيا ــ ، لكن ما أبداه كتاب الغرب لهم من اثارة عواطفهم الدينية مستغلا المذابح التى وقعت لهم على يد الدروز فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأن قيام حكومة على أساس وطنى سيجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى بعكس وضعهم فى ظل الحكومة الدينية الاسلامية[2] ، مما حدا ببعض الكتاب الأقباط الى محاولة اطلاق نظرية تقول بأن الاختلافات الدينية قد قوت

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : د . مصطفى خالدى : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ط ٣ الفصول من الخامس الى الثامن .

(٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ص ١٢٠ ، ١٢١

الفروق القبلية والقومية فى العالم العربى المسلم[٣] . لكن ذلك الرأى لا يرقى الى التعميم وذلك لموقف الاسلام المتميز من الأقليات الدينية[٤] ، وهو موقف أدى الى انصهارها انصهاراً كاملا فى الحضـــارة الاسلامية ، موقف لا محل فيه لاجتهاد الحكام المســـلمون حيث انهم متبعون لتشريع ثابت وليسوا مبتدعون[٥] .

ومع أن الفكرة لم تلق التأييد المطلوب من جمهور المسلمين فى بلاد الشـــام لارتباط الدعوة لها بالنصارى فى البداية ، الأمر الذى أدى الى هجرة بعض دعاتها الى مصر حيث كانت الظروف أكثر ملاءمة بعد وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى ، الا أن البعض الآخر من دعاتها ومن خلفهم مدارس التبشير وبعض مفكرى الغرب ظلوا ينتظرون الظروف المناسبة لنشر الفكرة .

وجاءت حوادث اعتداء الجيش التركى بزعامة واحـــد من «جماعة الاتحاد والترقى» وهو «جمال باشا» على الأهالى لتهيىء لهم ماطلبوه ، فاستغلوها ليثيروا النعرة العربية القوميـــة ضد الأتراك ، وقويت بذلك الدعوة للعربية التى تطورت فى أشكال متعددة «الخلافة ــ القومية ــ الجامعة» على ضوء ما سنوضحه فيما بعـــد .

---

(٣) د . سميرة بحر : مدخل لدراسة الأقليات ص ١٠٧ .
(٤) المرجع السابق ص ٩٨
(٥) ابو الأعلى المودودى : حقـــوق اهل الذمة فى الدولة الاسلامية ص ٣٣

وعلى الرغم من أن كثرة من المفكرين المسلمين من العرب قد ظلوا متمسكين بالوحدة الاسلامية وارتباط العرب بالترك ، الا أن تطرف كثير من المفكرين الأتراك فى الدعوة لتذويب العرب فى الترك ، والترويج للقومية التركية على حساب الفكرة الاسلامية والعربية ، وكذلك حوادث الاعتداء ، قد أضعف الفكرة الاسلامية ، ودفع أغلب هؤلاء للدعوة لليقظة العربية ، أو للتوفيق بين هذه الدعوة والفكرة الاسلامية لدى البقية الباقية[٦] .

واذا انتقلنا لمتابعة تطور الفكرة فى مصر نجد أن مصر كانت البلد المسلم الأول الذى تقدمت فيه فكرة الوطنية قبل غيرها[٧] ، بل أخذت الفكرة منذ بدايتها طابعا محليا جعلها قريبة من القومية وذلك لعدة عوامل أهمها رغبة حكامها من أسرة « محمد على » فى اتمام الاستقلال عن دولة الخلافة[٨] ، وكذلك اكتشاف الأوروبيين لآثار فرعونية واثارة اهتمام كبير حولها ، بالاضافة الى دور الصحف التى سيطر على أغلبها كتاب شوام — أغلبهم من النصارى — والذين روجوا لشعار « مصر للمصريين » ، وقد أسهم هذا الاتجاه فى تأسيس

---

(٦) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٣٠ ، مصطفى الشهابى : محاضرات عن القومية العربية ص ٣

(٧) برنارد لويس : المرجع السابق ص ١٢١

(٨) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ص ٢٨

جمعيات سرية مثل « مصر الفتاة » . وكذلك فى قيـام الثورة العرابيـة[٩] .

وهنـاك عامل آخر وهو أثر التغييرات الهامة فى النظام الاجتماعى والاقتصادى التى قامت بها الحملة الفرنسية والتى استكملها « محمد على » حيث أدت هـذه التغييرات الى خلق قوى انتاجية قامت تدافع عن مصالحها ضـد قوى المماليك والأتراك الاقطاعية فمهدت ومكنت لمـا أحدثه « محمد على » من تغيير وقبلوه ، وكان هـذا دليلا على ميولهم الوطنية[١٠] .

أما الفلاحون فكان سوء حالتهم يزداد شيئا فشيئا وبخاصة بعد أن غالت الحكومات فى جباية الضرائب منهم فهيأ ذلك المناخ لانتشـار الفكرة الوطنية . ثم يأتى دور الاحتلال البريطانى ليشكل عاملا هاما فى اثارة الشعور الوطنى ، فضلا عن الدور الذى لعبه المثقفون المصريون الذين تعلموا فى أوروبا ، وكان

---

(٩) د . محمد محمد حسين : المرجع السـابق ص ٦٧ ، ساطع الحصرى : ما هى القومية ؟ ص ٢١١ ، د . على المحافظة : المرجع السابق ص ١٢٠ ، د . رؤوف عباس : المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة ص ٤٩

(١٠) د . جلال يحيى : مصر الحديثة ص ١٣ وما بعدها ، د . محمـود اسـماعيل : رفاعة الطهطاوى ، فكره الاجتماعى والسياسى . المؤرخ العربى العدد (٤) لسـنة ١٩٧٧ ، وعن صراع هـذه الطبقة الناشئة ببقايا ما يسمى الأرستقراطية الاسلامية الحاكمة انظر : د . عبد العظيم رمضـان : صراع الطبقات فى مصر ص ٨

أول المصريين الذين زاروا فرنسا وتأثروا بالفكرة الوطنية فيها ثم عاد لينشر كتاباته عنها هو « رفاعة الطهطاوى » ، ومن أول كتاباته قصيدة وطنية بدأها بمدح « سعيد باشا » سنة ١٨٥٥ م فحظى منذ البداية بالتشجيع الحكومى الأمر الذى جعله يسرع وفى نفس العام باصدار مجموعة شعرية أسماها « منظومة وطنية مصرية » ، ثم أصدر مجموعة باسم «وطنيات» بعد ذلك بعدة أعوام[١١] .

ويرى البعض أن كتابات « الطهطاوى » قد خلت — فى أغلبها — من النظرة الاسلامية بل وحتى العربية ، وأنها قد جنحت بمفهوم الوطنية الى القومية المصرية ، ويستدلون على ذلك بترجمته لكتاب عن مصر الفرعونية وكذلك محاولته الكتابة عن تاريخ مصر قبل الفتح الاسلامى ، فضلا عن أن كتاباته قد امتلأت بمشاعر الافتخار بأمجاد المصريين القدماء[١٢] .

ومع ذلك فانه لا ينبغى اغفال الدور الهام الذى قام به « الطهطاوى » حيث تمكن — من خلال اشرافه على مدرسة الألسن فى عهد « محمد على » — من ترجمة العديد من الكتب العلمية والأدبية الهامة من اللغات التركية والفرنسية والايطالية والفارسية أسهم بها فى خطوات تحديث الدولة المصرية[١٣] .

---

(١١) د . رؤوف عباس : المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة ص ٤٦

(١٢) د . محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ١١٧

(١٣) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ص ٣١ ، ١٢٣

وعلى الرغم من أنه قد ناقش بعض القضايا الاجتماعية والسياسية بمفهوم جديد الا أنه لم يبتعد عن المفاهيم الاسلامية[١٤] . واذا كان « الطهطاوى » قد هوجم بسبب ذلك من قبل المفكرين المسلمين المحافظين فلأنه من رواد حركة التجديد التى لم تلق وقتها — وربما حتى الآن عند البعض — رواجا واستجابة ، فقد تعرض فى كثير من كتاباته لتفصيل مفهوم « حب الوطن من الايمان » حتى يثبت عدم منافاة الوطنية للاسلام ، فضلا عن أنه قد ارتقى بمفهوم للوطنية كان غير مألوف فى عصره وهو عدم التفريق بين الملل فى الوطن الواحد حتى تجتمع الجهود لخدمته ، وكان فى ذلك متأثرا بالثقافة الفرنسية والتى لم تصطدم فى هذا الجانب بقيم اسلامية[١٥] . وكان يعتبر أن حب الوطن هو الطريق الصحيح لبناء المجتمع الصالح ، والوطنية هى الرابطة التى تشد النظام الاجتماعى

---

(١٤) د. محمد عمارة : المراة والمساواة فى راى الطهطاوى ص ١١٢ وما بعدها ؛ طارق البشرى : المرجع السابق ص ٢٩ حيث يذكر جهود الطهطاوى فى جعل اللغة العربية اللغة الأساسية فى الوقائع المصرية .

(١٥) د . محمد عمارة : العروبة فى العصر الحديث ص ١٤٩ ؛ د . زكريا سليمان : الاخوان المسلمون ص ٩ . وحينما نظم ابياتا من الشعر فى حب مصر لم تخل من النظرة الاسلامية كأن يقول مفرقا بين باريس ومصر :

فكل منهما عندى عروس ولكن مصر ليست بيت كفر

د . عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٢٦٤

الى بعضه فيقول نقلا عن بعض الحكماء « لولا حب الوطن لما عمرت البلاد الغير مخصبة »[١٦] .

وعلى درب التغنى بالوطنيـــة سار شـــاعر آخر هـــو « صالح مجدى » ، وجاءت أولى قصائده فى مدح « سعيد باشا » والافتخار بأمجاد الأجداد وجيش البـــلاد ، وقد أمر « ســـعيد باشا » بأن تلحـــن قصـــيدته وتغنى فى المحافل والمواسم[١٧] .

ومن بين الذين فتنوا بالحضـــارة الغربيـــة وترجم عن الفرنســـية كثيرا من الأعمال الأدبية « محمد عثمان جلال » الذى لم يقتصر عمله على الترجمة فقط بل تزعم حركة الكتابة بالعاميـــة المصرية متأثرا فى ذلك بمـــا قام به الفرنســـيون — والأوروبيون عموما — بالثورة على اللاتينية الى اللهجات المحليـــة ، وتعد هـــذه الحركة جنوحا بالوطنية الى القوميـــة المتعصبة مما دعا أصحاب الفصحى بالتصدى لها فكانت الحركة التى تزعمها « محمود سامى البارودى »[١٨] ، فأعادوا للعربية ديباجتها المشرقة وبيانها الناصع .

---

(١٦) د . عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٨٦

(١٧) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر — ج ١ ص ٧٨ . وقد تحول هـــذا الشاعر قبيل وفاته الى مهاجمة القصر والاحتلال .

(١٨) د . شوقى ضيف : فصـــول من الشعر ونقده — القاهرة سنة ١٩٧١ ص ٢٧٨ — ٢٨٠ وكان من أبرز رفقاء البارودى =

وفى هـذه الفترة تولى الصحفى اليهودى « أبو نضارة » و « سليم نقاش » و « أديب اسـحاق » الترويج للوطنيـة المصرية فى محـولة لترسيخ شـعار « مصر للمصريين » ؛ فيكتب « أديب اسـحاق » فى جريدة مصر الفتاة الصادرة فى الاسكندرية سنة ١٨٧٦ يقول : « يا أيتها الأمة المصرية ، انهضى من عثرة الغفلة ، وانظرى الى الذين نالوا السـعادة فانك أهل لأعظم المواهب » .

وفى نفس العام أنشأت مجموعة من المصريين ـ سراً ـ « الحزب الوطنى » وهو أول حزب سياسى مصرى ، وأعلن فى مقدمة برنامجه أنه حزب سياسى لا دينى يجمع كافة طوائف المصريين[١٩] . وعلى الرغم من أن السـيد « جمال الدين » والشـيخ « محمـد عبده » وغيرهما ـ وهم يمثلون التيـار الاسلامى ـ كانوا من بين زعماء هـذا الحزب ووراء تأسيسه ، الا أن برنامجه كان يمثل تطورا ضخما فى نمو الفكرة الوطنية لدى أغلب المثقفين المصريين ، كما أنه اذا كان الكثير من المسلمين المحافظين قد ارتابوا فى دورهما ـ «الأفغانى» و«محمد عبده» ـ

= عبد الله النديم . ومن بين الذين روجوا للعلمية ابراهيم شميل شقيق شبلى شميل ووليم ويلكوكس . د . عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ص ٤٠١

(١٩) على المحافظة : المرجع السابق ص ١٢٣ ، ١٢٤

المؤيد لاتجاه الصحافة والصحفيين من غير المسلمين ، الا أن ذلك كان حلقة فى جهودهما لخلق وعى قومى يحشد كافة الطوائف، لابعاد الفساد عن وطن هو جزء من الكتلة الاسلامية .

على أن وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢م قد أدى الى اختفاء دعاة الفكرة الوطنية ، ولا يكاد الباحث يعثر على ما يعبر على وجود الفكرة ولعدة سنوات فى أعقاب الاحتلال . وكان تولى الخديو « عباس حلمى الثانى » سنة ١٨٩٢م عودة لظهورها حيث ان الاحتلال قد جرح كبرياء الخديو الشاب وسلب منه كل سلطة ، ومن هنا ارتاب البعض لا فى وطنية الخديو فحسب ، بل وفى اتجاه الحركة الوطنية وصدق دعاتها [٢٠] لكن اتجاه الوطنيين المصريين ناحية «الخديو» كان سبيلا ــ جيدا ان لم يكن وحيدا فى هذه الفترة ــ للتعبير عن غضبهم تجاه الاحتلال وبخاصة بعد أن تأكدوا أنه لن يرتمى فى أحضان الاحتلال كوالده « توفيق » ، وازدادت الثقة فيه شيئا فشيئا حتى أصبح يمثل جزءا من الحركة الوطنية .

واذا كانت فكرة الوطنية بمدلول التحرر من الأجنبى فى مصر فى العقد الأول من القرن العشرين تبدو من خلال تتبع جهود « عبد الله النديم » الذى غلب الوطنية على غيرها وأعمال « مصطفى كامل » [٢١] وحزبه الوطنى ، فان الخوض

---

(٢٠) د . زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ٦ .

(٢١) د . عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ص ٢٣٨ .

فى دور هذا الحزب بعيد عن مجال هذا البحث . وما يهمنا هو توضيح أبعاد هذه الفكرة ، فلقد سار مصطفى كامل بهذا المدلول التحررى فى ازدواجية حين جمع بين الدعوة للارتباط بالدولة العثمانية ، أو بمعنى آخر احياء فكرة الخلافة الاسلامية فى الوقت الذى دعا فيه ـ وبأسلوب رومانسى جذاب ـ الى احياء الشعور الوطنى . وبرغم ذلك كان « مصطفى كامل » وطنيا قبل وفوق كل شىء ، وما كان اتجاهه لاحياء الخلافة العثمانية ـ كما يرى البعض ـ الا للاحتفاظ بالوضع الشرعى لبلاده فى ظل دولة الخلافة والذى يعنى عدم شرعية الاحتلال البريطانى . كما أنه أدرك أنه لن يصيب بدعوته نجاحا بين جمهور المصريين الا باثارة النعرة الوطنية فى ثوب اسلامى يؤكد التمسك بالخلافة الاسلامية وخليفة المسلمين [٢٢] . على أن ذلك لا يعنى انكار الأصالة الاسلامية فى شخص ودعوة « مصطفى كامل » ، فهى مسألة يؤكدها انتماؤه الى البيئة المصرية ، وكذلك النجاح الذى أصابته دعوته حيث أسهمت فى احياء الشعور الاسلامى الوطنى لدى المصريين لفترة طويلة ، وهى أمور أهلته لمكان الريادة على طول التاريخ الوطنى المصرى .

* * *

(٢٢) محمد على علوبة : مذكرات سياسية واجتماعية ـ دار الوثائق القومية ص ٢٨٨ . ؛ د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ص ٣٥ .

الفصل الثالث

الفكرة القومية في مصر

الفكـــرة القوميـــة فى مصر

أما عن تحول الدعوة من الوطنية الى القومية فى بلدان العالم العربى فقد تأثر بعدة عوامل منها ما يراه البعض فى أن سماحة الاسلام قد ساعد الأقليات الدينية على الاحتفـــاظ بخصائصها الأصلية وهو أمر ترتب عليه الاحتفاظ بالأهميـــة الأساسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية فى الشرق الأوسط[1]. وكذلك التوزيع الجغرافى المناسب للأقليات الدينية كوجـــود النصرانية المارونية الكاثوليكية فى ساحل لبنان ، ووجود العلويين فى الشمال بمذهبهم الذى يجمع بين الشـــيعة والنصرانيـــة الأولى ، والدروز فى جنوبى جبال لبنان . وقد أسهمت العزلة الجغرافية فى ايجاد عزلة اجتماعية بين هذه الطوائف وعلى طول القرون وبفعل العناية القليلة أو التجاهل الناتج عن صعوبـــة المواصلات من قبل الحكومات المركزية لهـــذه الأقليـــات[2] ، بالاضافة الى الدور الهام الذى لعبته مدارس التبشير ، أسهم كل هذا فى نمو ثقافات محلية كان لها أثرها فى بروز الطابـــع القومى .

وهناك الأقليات العنصرية التى أسهمت ـــ وبفعل العامل

---

(١) د . سميرة بحر : مدخل لدراسة الاقليات ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

الجغرافى ــ فى مزيد من التفتت القومى كالأكراد فى شمال العراق والبربر فى الشمال الافريقى ، وهى جذور أسهم الاستعمار الغربى اسهاما كبيرا فى احيائها ودفعها ، فضلا عن سياسة تقسيم العالم العربى كمناطق نفوذ وهى سياسة سبقت اتفاقية«سايكس ــ بيكو» ، ونتج عنها فروق اقتصادية وثقافية وغير ذلك ــ وهى أمور لم تكن وليدة الصدفة ــ كان لها دورها فى دفع عجلة القوميات المحلية مما أدى الى عرقلة محاولات الاحياء العربية ، وحتى داخل الوحدات الاقليمية المحدودة فى بلدان العالم العربى •

وقد اعتمدت الدول الأوروبية ــ وبخاصة انجلترا وفرنسا ــ فى هذه السياسة على مدارس التبشير والأقليات النصرانية[٣] ، ويبدو ذلك فى توسيع رقعة لبنان على حساب سوريا وفصل الدروز عنها ، وكذلك فى فصل « أنطاكية » ومحاولة فصل « حلب » • وبعد وقوع سوريا تحت الانتداب الفرنسى أصبحت اللغة الفرنسية لغة رسمية ، ونقلت اليها فرنسا ألوفا من الأرمن الذين شردتهم تركيا أثناء الحرب ، كما شجعت المؤلفات التى تعمق الفكر القومى لا فى سوريا فحسب بل وفى كافة مناطق نفوذها[٤] ، وهو أسلوب اتبعته انجلترا فى مصر والعراق وفلسطين والجنوب العربى • وحتى داخل الجزيرة

---

(٣) ساطع الحصرى : محاضرات فى نشوء القومية ص ١٦٥ .
(٤) محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية ص ١٦٣ .

العربية فقد خشيت انجلترا من نمو الدولة السعودية الحديثة وحاولت عرقلة ذلك النمو فى البداية ، ثم عادت وساعدت « عبد العزيز بن سعود » فى ضرب ثورة الاخوان ولكى يكون استقراره معتمدا على الارتباط حتى لا يهدد مصالحها •

وقد حاول المثقفون المصريون توضيح دور الاحتلال وبأنه سبب البلاء ، وكان الرأى العام المصرى مهيأ لقبول هذا الاتجاه وبالتالى كان همه الأول السعى لتحقيق الجلاء ، لكن عدم الاتفاق على الوسيلة كان من أهم العقبات التى أعاقت مسيرة الحركة الوطنية • فلم ينجح دعاة القومية المصرية — الممثلين فى حزب الأمة — فى تجميع الجماهير حولهم لا لأنهم كانوا يرون الأخذ بالأساليب والنظريات الغربية فى الاصلاح فحسب[٥] ، بل لأن الجماهير لم تكن لتقبل أى نوع من الانسلاخ عن الخلافة الاسلامية فى المقام الأول • ولا يعنى ذلك أن أصحاب الدعوة للارتباط بالخلافة الاسلامية — الممثلين فى الحزب الوطنى بزعامة « مصطفى كامل » — قد أصابوا كل النجاح فى سبيل تحقيق الجلاء حيث افتقدوا الى المنهجية والتنظيم اللازم فى هذا السبيل • وان كان من الانصاف أن نذكر أنهم قد فاقوا غيرهم من الأحزاب والتيارات فى احياء مشاعر الجماهير بعد اليأس الذى أطبق عليهم فى أعقاب

---

(٥) Hourani, Albert : Arabic thoughts in the Liberal Age . P. 144.

الاحتلال البريطانى ، وبالتالى وضعهم على أول الطريق الصحيح لتحقيق الجلاء وهو أمر ظهر نتاجه فى ثورة ١٩١٩ وما أعقبها من تيارات وجماعات ثورية .

واذا كان الاحتلال — ومن خلال الظروف السياسية السابقة — قد قام بالدور الأساسى فى انماء الشعور القومى ، فان دور بعض الأقباط المصريين فى انماء ذلك الاتجاه لا يقل أهمية عن دور الاحتلال[٦] ، بل ان الدعوة للفرعونية قد ارتبطت بدعوة هؤلاء الأقباط الذين اعتبروا أنفسهم ورثة شرعيين لمصر الفرعونية ، وهو اتجاه لم يكن ينطوى فى مجمله على مصلحة الوطن فضلا عن أنه كان معارضا لاتجاه أغلب المصريين . ويبدو ذلك واضحا فيما كتبته كاتبة قبطية حيث تؤكد أن مصلحة الأقباط — لا مصلحة الوطن — هى التى تدفعهم للعمل على الوحدة الوطنية ، وبالتالى فان هذه المصلحة — وفى رأى نفس الكاتبة — هى التى تجعلهم يخشون — ان لم يعارضوا — ارتباط مصر بكيانات وحدوية أكبر — اسلامية كانت أم عربية — ، ولا يهمهم بالدرجة الأولى ما ينتج عن هذا الارتباط من مصلحة للوطن بقدر ما يهمهم السؤال عن « الدور الذى يمكن أن يمارسوه ، والى أى مدى سيسمح لهم هذا الكيان بالحفاظ

---

(٦) حاول بعض الكتاب الأقباط ربط مسيحيى مصر مع مسلميها بالقومية العربية . انظر : عيادى العبد العيادى : المسيحية والقومية العربية ص ١٠٨ وما بعدها .

على تراثهم وحرياتهم الدينية والمدنية ومواصلة دورهم فى المجتمع المصرى كجزء أصيل منه لا كمجرد ضيوف أعد لهم أو تم ترويدهم بمكان ما فى هذا المجتمع »[٧] .

ومما يؤكد هذا الاتجاه لدى الأقباط مواقف زعمائهم فى بعض الأحداث السياسية ، فعلى أثر اغتيال « بطرس غالى » سنة ١٩١٠م — وهو رئيس وزراء قبطى — على يد أحد شباب الحزب الوطنى « ابراهيم الوردانى » زار وفد منهم انجلترا ليعبر عن معاناتهم من التعصب الدينى ، وصوروا أنفسهم بأنهم قدماء المصريين . وحينما عادوا الى مصر عقدوا مؤتمرا قبطيا فى أسيوط عبروا فيه عن مدى معارضتهم للمسلمين ، وكان السبيل لدرء الفتنة هو عقد مؤتمر ضم المسلمين والأقباط غلبت عليه النزعة الاقليمية [٨] ، كما أن بعضهم قد أعرب عن تخوفه من فكرة الجامعة الاسلامية وقال ان من حق الأقباط أمام ذلك تكوين جامعة نصرانية تعتمد على الاحتلال البريطانى [٩] . وقد نتج عن ذلك ايجاد حجة للاحتلال أمام دول أوروبا المسيحية باسم حماية نصارى مصر ، وكان اتجاها — رغم ضيقه وضعفه —

---

(٧) د . سميرة بحر : الاقباط فى الحياة السياسية المصرية ص ١٤٧ ، ١٧٥ .

(٨) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ١٣٣ — ١٣٦ .

(٩) د . زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ١٧٦ .

معاديا لمسيرة الحركة الوطنية التى تسعى لتحقيق الجلاء[١٠] . وحينما وجد الحزب الوطنى أنه لا بد من التصدى لهذا التيار حفاظا على سلامة الاتجاه الوطنى وحرصا على مساندة الدول الغربية وفى مقدمتها فرنسا وقع فى فخ ما سمى بالفتنة الطائفية والتعصب الدينى التى اتخذها الاحتلال ذريعة لتطويق الحركة الوطنية ومحاكمة ونفى زعمائها[١١] ، كما أسهم ذلك التيار — الى جانب عوامل أخرى — فى اتجاه الحزب الوطنى الى الوطنية المصرية على حساب الدعوة لفكرة الجامعة الاسلامية .

وقد انتابت مصر ظروف سياسية أدت الى أن يطفو الفكر القومى على ساحة الفكر السياسى[١٢] ، تلك الظروف التى تمثلت فى الحرب العالمية الأولى ثم تولى حزب الوفد الدور الهام فى الحركة الوطنية فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ وهو امتداد لحزب الأمة ، وكانت بريطانيا وراء الحزب الجديد امتدادا لتأييدها لحزب الأمة ، ولنفس الأسباب التى أيدت من أجلها ذلك الحزب، بالاضافة الى رغبتها فى دعم الاتجاه القومى وقطع صلة مصر بتركيا حتى تستقل عمليا وقانونيا وسياسيا بالسلطة الفعلية

---

(١٠) Fo. 407, 175 - No : 57 . from British Chamber of Commerce of Egypt to Gorest. 6 May, 1910

(١١) Fo. 407 , 175 . No : 30 . from Foreign Office to : Colonial Office, 18 may, 1910.

(١٢) د . زكريا سليمان : المرجع السابق ص ١٤٠ .

والشرعية فيها • وقد نجحت الى حد كبير فى تحقيق ذلك الغرض الذى نتج عنه اضعاف شأن دعاة الجامعة الاسلامية الممثلين فى رجال الحزب الوطنى حيث أصبح دورهم ثانويا ضعيفا [١٣] • ومن هنا فان انتصار التيار القومى بعد ثورة سنة ١٩١٩ لم يكن وليد الحظ كما يرى البعض[١٤] • كما كان لذلك الدور — أى دور الاحتلال — أثره فى اشتداد دعوة أقباط مصر للفرعونية ، وتمثل ذلك فى تيار « سلامة موسى » الذى تعدى الدعوة للفرعونية الى التعدى على الحضارة الاسلامية • وفى هذا المناخ كان الترويج لمقبرة «توت عنخ آمون» التى اكتشفت سنة ١٩٢٢[١٥] ، كما صدرت عدة مؤلفات تؤيد حركة التجديد وتنهج النهج الليبرالى فى أغلبها مثل « عودة الروح » و « أهل الكهف » لـ « توفيق الحكيم » • واذا كنا لا نجارى الذين يرتابون من دراسة الحضارة المصرية القديمة التى تهدف الى استيضاح الأبعاد الحضارية ، الا أن الهدف

---

(١٣) تأثر موقف رجال الحزب الوطنى بموقف الأتراك من فكرة الجامعة الاسلامية .

(١٤) د . عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ١٩٤٨ جـ ١ ص ٢٨٢ . وتمثل انتصار ذلك التيار فى تولى مجموعة من كبار الأعيان المناصب السياسية وساندتها فئة مثقفة محدودة لم تكن تمثل اتجاه الجماهير فى مصر .

(١٥) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٨٨ . ، د . عبد العظيم رمضان : صراع الطبقات فى مصر ص ٢٠ .

الذى أراده البعض والذى كان بارزا لدى مجموعة من المثقفين لصريين الأقباط وهو محاولة ربط المصريين بأصولهم الفرعونية جنسيا وثقافيا أمر ينبغى الحذر منه وبخاصة أنه يرمى الى زعزعة ارتباط المصريين بأصولهم الاسلامية •

ومن بين العوامل التى ساعدت على ارتفاع مد التيار القومى ذلك الدور السلبى الذى وقفه أغلب مشايخ الأزهر ورجال الطرق الصوفية حيث لم يكن لهم دور فعال فى مواجهة ذلك التيار ، واذا كان ينبغى أن نذكر أن قلة من هؤلاء قد حاولت أن تتصدى للتيارات الجديدة الا أن محاولاتهم لم تلق التأييد أو تحدث الصدى المطلوب(١٦) • وذلك لأنهم قد لجأوا الى أساليب قديمة وعقيمة لم تكن لتستوعب أذهان الشباب مما أدى الى نشاط دعاة القومية • كما لعبت الجامعة المصرية دورا بارزا فى تنشيط الاتجاه القومى حيث فتحت أبوابها لدعاته وروجت مؤلفاتهم ، وكذلك لعبت دورا مماثلا الجامعة الأمريكية التى فتحت قاعاتها لمحاضراتهم ، وكان هذا الاتجاه فى أغلبه مقرونا بالفكر التحررى •

وبعد أن استقرت الأوضاع — نسبيا — من وجهة نظر مدرسة الاصلاح التى يعبر عنها « حزب الوفد » حيث حصلت

---

(١٦) ونشير الى اضراب محدود قام به بعض طلاب الازهر لم يكن له اثر واضح •
Fo. 407, 174 , 868 , No : 17 . 20 - Feb. 1909.

مصر على استقلالها الشكلى فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وصدور دستور سنة ١٩٢٣ م وأعقب ذلك الغاء الخلافة الاسلامية ١٩٢٤م وصدور كتاب « الاسلام وأصول الحكم » للشيخ « على عبد الرازق » سنة ١٩٢٥ الذى رأى فيه عدم شرعية الخلافة ، وكذلك كتاب « فى الشعر الجاهلى » للدكتور « طه حسين » سنة ١٩٢٦ ، اعتلى المد القومى وتجرأ دعاته على ما لم يستطيعوا التصريح به من قبل • وتزعمت صحيفة « السياسة » لسان حزب «الأحرار الدستوريين» الدعوة للفرعونية[١٧] ، فنجد رئيس تحريرها الدكتور « هيكل » يكتب مقالا يذكر فيه أن دخول مصر فى النصرانية أو الاسلام قد قطع صلات المصريين بقديمهم ، ودعا الى قيام نهضة على بعث المجد الفرعونى والبحث فى أدبهم وعقائدهم وأن الغربيين قد فتحوا الباب واسعا منذ كشف « شاملبيون » عن سر الهيروغليفية فى حجر رشيد ، وتخيل أن تكون الفرعونية دينا جديدا يغزو بمبادئه العالم هاديا ومبشرا ليحقق للناس السعادة والطمأنينة[١٨] • ودعا فى مقال آخر لفن مصرى النزعة صريح فى مصريته يضاهى المذاهب الذائعة فى أوروبا ، وكذلك دعت صحيفته لخلق أدب محلى يتميز بالطابع

---

(١٧) تأسس فى عام ١٩٢٣ على اثر انشقاق فى حزب الوفد، وسيطر عليه مجموعة من كبار الملاك من أتباع حزب الأمة القديم .

المصرى يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحدها . بل دعا أحدهم الى طبع اللغة العربية بطابع قومى . وفى الوقت الذى يدعو فيه مدير الجامعة المصرية « أحمد لطفى السيد » الى وجوب تقوية العصبيات الاقليمية فى كل بلد عربى وأن الجامعة الاسلامية فى نظره نوع من الأوهام ، نجد كتابا آخر يحاول أن يثبت تأثر البلاد العربية بالفرعونية .

* * *

الفصل الرابع

الفكرة العربية في مصر

الفكـرة العربيـة فى مصر

من الخطأ الشائع بين كثير من الكتاب الخلط بين الفكرة العربيـة وتيـار القوميـة العربيـة باعتبـاره حـركة سـياسية ، بل ان الأكثر خطـأ هو تفسـير ظواهر تاريخية فى التاريخ الاسلامى وما قبله محاولين استنباط أسس ما يسمونه بالفكرة العربية [1] • واذا سلمنا بأنه كان للعرب هوية متميزة فى العصر الجاهلى[2] ، فاننا يجب أن نسلم كذلك ـ بل نؤمن ـ بأن الاسلام قد هذب عناصر هـذه الهوية ولفظ العصبية القبلية وكذا العنصرية « لأنها منتنة » • واذا كان هناك فضل للعرب فى الدين الجديد فلأنهم دعاته الأول والذين قادوا الدعـوة له ، لكن سرعان ما شاركتهم فى ذلك الفضل شعوب أخـرى دخلت فى الاسـلام وانصهرت فيه وتحملت معهم تبعـات الدعوة له والجهاد فى سبيله والالمام بلغة كتابه • أما عن قول الله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** »[3] فليس المقصود

---

(١) من هؤلاء الكتاب عبد المجيد عبد الرحيم فى كتابه : حول القومية العربية ١٩٦٦ الذى حدد فيه فصلا كاملا عن نشأة القومية العربية مدللا أنها نشأت فى العصر الجاهلى ص ٢٥ وما بعدها . ، عيادى العبد العيادى : المرجع السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ .

(٢)برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ص ١٣٢ . ،
Hazem, Zaki Nuseibeh : The ideas of Arab nationalism. U.S.A. 1956 . P. 14.

(٣) آل عمران : ١١٠ .

بهذه الأمة العرب ، فمفهوم الأممية فى الاسلام مفهوم عقائدى وليس مفهوما قوميا فلقد عانى الرسول ﷺ أول ما عانى من قريش العربية ، وأمر أول ما أمر أن ينذر عشيرته الأقربين ، وحارب أول ما حارب كتلة الكفر من قريش • وهـذا يفسر قوله ﷺ « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » حيث قرن الذلة للاسـلام بذلة المسلمين الناطقين بالعربية وليس بالعرب غير المسلمين • واذا وجدنا فى تاريخ الاسـلام ما يراد تفسيره بتعصب عربى كالذى وجد فى عصر بنى أمية أو ظهور ما سمى بظاهرة الشعوبية فى العصر العباسى الثانى فيجب أن يلصق الأول من حيث السبب بالحكام ــ وهـذا لا يعـدو الظـاهرة الفـردية ــ لا بالاسلام [٤] ، كما لا ينبغى المغالاة فى الثانى حيث لحقته أحداث تؤكد تمسك الشعوب المسلمة بدينها أكثر من أى شىء آخر ، فكثيرا ما رأينا حكاما مسلمين يحققون نجاحا بتوليهم شعوبا لم يكونوا ينتمون اليها من حيث الأصل أو الجنس[٥] • ويتضح من ذلك أن الملامح الأولى لتحديد الهوية العربية قد انطلقت من الناطقين بالضاد من المستعربين ، أى أن الدعوة قد اتسمت بالطابع الثقافى لا العرقى[٦] •

---

(٤) نعارض فى ذلك ما جاء فى كتاب محمـد عزة دروزة ــ نشأة الحركة العربية .

(٥) هناك على سبيل المثال صلاح الدين الأيوبى وسيف الدين قطـز .

(٦) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٣٦ .

أما عن تطور الدعوة للقومية العربية فهى حركة سياسية ظهرت بواكيرها فى الشام ومصر فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت بدايتها — وفى نظر دعاتها — رد فعل للقومية التركية [٧] .

على أنه قد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم الى التحمس للشعور القومى والمجاهرة به ، وكانت مدارس التبشير التى أنشأوها فى بلاد الشام هى وسيلتهم لنشر هذه الفكرة ، كما أنهم قد أسسوا أول جمعية تدعو للقومية العربية وتندد بالحكم التركى وطالبت باستقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وان كانت قد اقتصرت فى دعوتها على بلدان آسيا العربية دون بقية أجزاء الوطن العربى [٨] .

ولقد سارت الدعوة للعربية فى اتجاهين ، الأول : اتجاه عربى قومى يرى أن هناك سمات مشتركة بين مصر والبلاد العربية يمكن معها اقامة وحدة سياسية ، وهذا الفريق من أنصار الفكرة العربية وليس من أنصار القومية العربية . والاتجاه الثانى يدعو للوحدة العربية بحكم أن مصر جزء من الأمة العربية ، ولقد لقى الاتجاه الأخير معارضة داخل مصر من دعاة القومية

---

(٧) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٩٩ .

(٨) على المحافظة : المرجع السابق ص ١٢٩ ، ١٣٠ . ؛ د . جلال يحيى : العالم العربى الحديث — المدخل — ج ١ — ص ١٦٤ وما بعدها .

المصرية وكذلك خارجها من الذين يشككون فى عروبة مصر فضلا عن قلة دعاته أو المتحمسين له فى البداية ، وفى الثلاثينات من هذا القرن دعت الى هذا الاتجاه الجماعات الاسلامية لكن الاتجاه الأول الداعى لوحدة مصر السياسية مع الدول العربيـــة ظل مطروحا حتى قيام جامعة الدول العربية[٩] •

وقبل أن نخوض فى تطور الدعوة لهـــذه الحركة ينبغى القاء الضوء على الدور الذى لعبه « محمد على » والذى ســـاد الاعتقاد ـــ وهو خطأ كبير ـــ بأنه سعى للوحدة العربية • ويظهر ذلك فيما كتبه أحد الكتاب فيقول : « ليس من شك فى أننـــا اذا قلنا « الوحدة العربية » فى هـــذا المقام نكون قد حملنا الألفاظ أكثر من مدلولها ، ذلك لأنه لم يكن بين الشعوب العربية فى ذلك الوقت وعى قومى يستحق الذكر ، أو شعور بالحاجـــة الى الاتحاد والترابط السياسى • بل انه ليمكن القول بأن الشعور الدينى وحده وليس الشعور القومى هو الذى كان يملك على الناس عقولهم ومشاعرهم وأن نجاح مصر فى السيطرة على الشعوب العربية حينذاك انما كان مرده الى تفوق قواتهـــا حربيا[١٠] • وبرغم ذلك يعود نفس الكاتب للقول بأن مصر فى عهد « محمد على » قد حققت وحدة عربية ولولا تدخل دول

---

(٩) د . صلاح العقاد : الفكرة العربية فى مصر ص ١٤٧ ، ١٤٨ •

(١٠) محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية ص ٤٨

أوروبا لوقف نشاطها لتمكنت من تمرين العرب على فكـرة الوحدة ، بل تصل الأمور الى تعبيره عن الندم لعدم انتزاع « محمد على » للخلافة من بنى عثمان بحجة أنه قد خلص البلاد المقدسة من أيدى الوهابيين[١١] .

ولم تجد الدعوة للعروبة معارضة مثلما وجدت الدعـوة للقومية الفرعونية فى مصر ، ويرجع ذلك لعدم معارضتها مبدئيا لفكرة الجامعة الاسلامية ، بل اعتبرت الخطوة الأولى لتحقيق الوحدة بين المسلمين . لكن دعاتها من بلاد الشام الذين فروا الى مصر قد غيروا ـ الى حد ما ـ هذا المفهوم لدى معظـم المثقفين المصريين ، حيث بدت فى كتاباتهم أن العروبة غاية فى حد ذاتها وليست وسيلة للوحدة بين المسلمين وذلك من خلال ما أثاروه حول أسلوب العسف التركى وضرورة الثورة عليهم ومحاربتهم[١٢] . وقد أيد الاحتلال البريطانى هذا الاتجـاه حيث حمى زعماء الحركة اللاجئين الى مصر كما أيد الدعوة للخلافة العربيـة التى دعا اليهـا « عبد الرحمن الكواكبى » و «بلانت » .

وقد ألف « الكواكبى » مع عديد من السوريين الذين نزلوا مصر « الجمعية اللامركزيـة » وكان منهم « عبد الحميـد

---

(١١) المرجع السابق ص ٤٩ .

(١٢) عاصم الدسوق : مصر فى الحرب العالمية الثانية ص ٢٧٠ .

الزهراوى » و « رشيد رضا » و « رفيق العظم » « وحقى العظم » • وأنشأ الذين هاجروا منهم الى باريس « الجمعية الوطنية العربية » سنة ١٨٩٥ م ، وصدر كتاب لأحد أعضائها طبع بالفرنسية بعنوان « يقظة الأمة العربية » ، كما أذاعوا بيانا سنة ١٩٠٦ م للدول العظمى أوضحوا فيه رغبتهم فى تأسيس امبراطورية عربية يرأسها سلطان عربى وحكومة دستورية حرة ويكون ملك الحجاز « الشريف حسين » خليفة للمسلمين ، وعقدوا مؤتمرا سنة ١٩١٣ م حضره وفد من الجمعية اللامركزية فى مصر برئاسة « عبد الحميد الزهراوى » [١٣] وقد سهلت لهم الحكومة الفرنسية هذا المؤتمر فى الوقت الذى بدأت فيه الثورة المسلحة على الترك فى كل من الحجاز واليمن ، كما حمت الجمعيات السرية المكونة من أتراك ثائرين على حكومتهم فى الشام الأمر الذى يوضح هدف الاحتلال من تأييد الدعوة فى طورها الأول • أما فى مصر فلم تلق الدعوة تأييدا قويا وذلك لانعزال دعاتها عن القضية المصرية [١٤] • واذا كان الانجليز قد ساروا فى مخططهم مع « الشريف حسين » لكونه ينتسب لقريش وحاكما للحجاز الا أن شخصية « الشريف » لم تكن

---

(١٣) عمل الزهراوى فى جريدة « الجريدة » لسان حزب الأمة الذى تزعم الدعوة للقومية المصرية وعارض فكرة الجامعة الاسلامية وحتى الفكرة العربية أيضا .

(١٤) د • صلاح العقاد : الفكرة العربية فى مصر ص ١٥٣ ، ٠
د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠٣ .

مرغوبة لديهم لفهمه المسألة العربية والخلافة فهما اسلاميا في وقت لا يريدون هم فيه سوى قومية عربية لا خلافة اسلامية عربية كما يريد شريف مكة[١٥] .

وعلى كل حال فقد كان الانجليز في حاجة الى مساعدة العرب ليحققوا الانتصار في الحرب العالمية الأولى وكما يقول « لورانس » : « خير لهم أن يكونوا منتصرين وناكثي عهود من أن يكونوا خاسرين مهزومين » ، فكانت معاهدة « سايكس ــ بيكو » وتوزيع البلاد العربية مناطق نفوذ بين انجلترا وفرنسا ، وكان ذلك تتويجا لخيانة الغرب لهذه الأمة ، وأحس دعاة العروبة بالندم على الوحدة في عهد الترك[١٦] .

على أن ما ينبغي الاشارة اليه هو أن الدعوة للقومية العربية كانت في نظر القوميين العرب تعبيرا عن رفض السياسة العلمانية التي انتهجها القوميون الأتراك والتي كانت تفصل بين القومية التركية وبين الاسلام حيث اعتبره القوميون الأتراك عنصرا غريبا عن تراثهم الثقافي في حين اعتبره القوميون العرب من مقومات القومية العربية ، وعلى الرغم من ذلك فان هذا الاتجاه لم يحظ بتأييد أغلب المسلمين من محافظين ومجددين[١٧] .

---

(١٥) د . محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ١٠٣ ــ ١٠٦ .

(١٦) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية ص١٤١ .

(١٧) مجيد خدوري : الاتجاهات السياسية ص ١٩٠ــ١٩١ .

واختفت الدعوة للعربية فى أعقاب ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ وارتفع المد القومى ، لكن الغاء « أتاتورك » للخلافة الاسلامية سنة ١٩٢٤ قد ساهم فى عودتها ـ كرد فعل مؤقت ـ وفى ثوب دينى جديد أدى الى تغير أسلوب دعاتها من الوحدة العربية بمفهومها القومى السياسى الى الوحدة العربية بمفهومها الفكرى كمرحلة من مراحل الوحدة الاسلامية .

وعلى صفحات مجلة « الرابطة الشرقية »[١٨] ومنذ عددها الأول الذى صدر فى مصر سنة ١٩٢٨ م عادت الدعوة للفكرة العربية والخلافة الاسلامية . ويرجع ذلك الى أن أعضاء جمعية الرابطة الشرقية كانوا من المسلمين المعروفين باخلاصهم للفكرة الاسلامية ، فرئيسها هو السيد « عبد الحميد البكرى » شيخ مشايخ الطرق الصوفية ونائبها « أحمد شفيق باشا » رئيس ديوان الخديو « عباس حلمى الثانى » ونائبها الثانى « رشيد رضا » وكاتم السر « أحمد زكى » المعروف بشيخ العروبة ، وضمت فى عضويتها « الشيخ بخيت » شيخ الجامع الأزهر و « عبد المحسن الكاظمى » الشاعر العراقى[١٩] . على أن الغرض الذى أعلنت المجلة أنها قد قامت من أجله وهو نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها

---

(١٨) تأسست جمعية الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٢ وتوقفت مجلتها سنة ١٩٣٠ بعد عامين من صدورها وظلت الجمعية قائمة حتى سنة ١٩٣١ .

(١٩) د. محمد محمد حسين : المرجع السابق ج ٢ ص ١١٥ .

قد خلق نوعا من الخلط بين الشرقية والعربية والاسلام الأمر الذى دفع مفكرا اسلاميا هو « أبو الحسن الندوى » أن يتهم الجمعية فى خطاب أرسله الى « رشيد رضا » بالحيدة عن الاسلام ، ورد « رشيد رضا » بأن الدعوة للشرقية والاسلامية تعزز احداهما الأخرى ولا تنافيها • ودفعت آخر للتساؤل عن تحديد المقصود بالعربى والبلاد العربية ، لكن المجلة سارت فى فكرتها مؤكدة أن المقصود بالشرق هم العرب والمسلمون وأن الحضارة العربية هى الحضارة الاسلامية[٢٠] • وكان ذلك تمهيدا لنمو محدود ومؤقت لفكرة الاتحاد الاسلامى العربى الذى تتزعمه مصر ، ولم يكن مفكرو الاسلام على استعداد لقبول اتحاد اسلامى فى اطار قومى •

وفى الجانب الآخر سار اتجاه الداعين للقومية العربية كقومية عصبية وطموحهم فى وحدة العرب هو تعاون بين قوميات، وقد تزعم هذا الاتجاه فى مصر بعض اللبنانيين من بينهم « أنيس خورى » ، الى جانب حزب الوفد الذى كان يرى فيها وحدة ثقافية واقتصادية ، فيدعو رجل مثل « طلعت حرب » الى هذا النوع من الوحدة ، لكن انشغال العرب بقضايا الدفاع ضد الاستعمار قد جعل دعوة كهذه بعيدة المنال وغير ذات صدى • وقد ووجه هذا التيار بمعارضة شديدة سواء من دعاة القومية المصرية أم من جانب دعاة الشرقية ودعاة الوحدة الاسلامية

(٢٠) المرجع السابق : ص ١١٧ وما بعدها .

كالشيخ « المراغى » شيخ الأزهر الذى أعلن رفضه للقومية العربية لكونها تسير فى اتجاه علمانى بفضل سياسة الوفد فأصبحت غاية وليست مرحلة من مراحل الوحدة الاسلامية . كما كان هناك تيار فى حزب الوفد يمثل رأى بعض الأقباط وهو « مكرم عبيد » الذى أيد هذا الاتجاه كى يكون بديلا للفكرة الاسلامية ، واذا فسر ذلك الموقف من جانب « مكرم عبيد » بأنه موقف شخصى وليس موقفا حزبيا ، كما أنه لا يعبر عن اتجاه مجموع الأقباط فى مصر لكونهم يميلون الى الوحدة الافريقية ، الا أن مجموع الأقباط فى هذا أو ذاك كانوا يبحثون عن البديل للفكرة الاسلامية[٢١] ولم ينل هذا الاتجاه أيضا تأييد اليساريين حيث قرنوا بينه وبين الدعوات القومية المتطرفة فى أوروبا كالنازية برغم أن الأخيرة كان هدفها توسعيا وهذا لم يظهر فى الدعوة للعربية[٢٢] . على أنه اذا كان البعض قد حاول ربط القومية العربية بالفاشية والنازية فكان ذلك يعد احتجاجا على التسلط الأوروبى وكذلك على الصهيونية[٢٣] .

---

(٢١) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٦٢ . ، د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٨٨ . ، د . سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ص ٨٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ . وكان غرض مكرم عبيد هو ايجاد جبهة مناهضة للاستعمار لكن تحفظ القوميات .

(٢٢) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٢٣) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٣٨ .

وينبغى أن نشير هنا الى أنه فى أعقاب حل « الكومنترن » للأحزاب الشيوعية فى العالم العربى أتاح ذلك حرية أوسع فى انتشار أتباعها فى العمل السياسى ، ورحبت الأحزاب القومية بالتعاون — رغم تناقض المبادىء — معهم بهدف تعزيز مكانة هذه الأحزاب القومية جماهيريا وتقويتها فى حركة مقاومة الاستعمار . لكن تخبط الموقف السوفييتى تجاه القضايا العربية القومية قد جعل أغلب الشيوعيين فى البلاد العربية يحولون وجهتهم نحو الانتماء القومى مع الاحتفاظ بمبادئهم أو تكوين كيانات شيوعية قومية أدت الى تضارب مصالحهم فى كل اقليم مما أفسد الوفاق الذى فرضته الأحداث بل وأدى الى الصدام بين القوميين والشيوعيين بعد الحرب الثانية (٢٤) .

وقد شغل المصريون بالأحداث الداخلية فى أوائل العقد الرابع من هذا القرن مما قلل الاهتمام بالدعوة للعربية ، كما كانت الأحزاب تخشى من الترويج لها ، الأمر الذى يغضب الدول الغربية(٢٥) . وكان « عبد الرحمن عزام » من أبرز الداعين لها فى هذه الفترة ، واتفق رأيه مع الذين رأوا فى تحقيق الوحدة العربية هدفا نهائيا ، وكتب مقالا نشرته الهلال سنة ١٩٣٤ اتضح منه ذلك عنوانه « الامبراطورية العربية وهل آن أن تتحقق » ؟ ضرب فيه أمثالا بالزعماء العرب القدامى وذلك بأمثلة على

---

(٢٤) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٢٥) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٨٩ .

امكانية قيام دولة عربية ، بل دعا الى ضرورتها فى عصر التناطح والكتل وأن وحـــدة العرب لا تستند الى خيال بل الى حقيقة تاريخية وظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وهى الضمـــان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلى والخارجى[٢٦] .

وتأتى أحداث « فلسطين » سنة ١٩٣٦ لتهيء الظـــروف لانتعاش الدعوة للعربية من جديد ، وقد ساعد على ذلك استقرار الناحية الداخلية نسبيا ومن الناحية الرسمية بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ مع الانجليز . وقد تقبل الرأى العام الاسلامى فى مصر الدعوة بل روج لهـــا حيث كانت الصحف والجمـــاعات الاسلامية هى الأكثر تحمسا لمساعدة « فلسطين » ، ومهدت مجلة « المنار » لامكانية التحول من جامعة اسلامية لجامعـــة عربية وهى نفس الفكرة التى سبق أن طرحها « الكواكبى » .

وقبلت الفكرة لدى المحافظين من المسلمين حيث وجدوا فى الجامعة العربية ضرورة لا غنى عنها لنهضة الاسلام فتبددت المخاوف من هذا الاتجاه . لكن أنصار القومية العربية قد تصدوا لهذا الاتجاه فكونوا « جمعية الوحدة العربية » سنة ١٩٣٦ م كان على رأس أعضائها « عبد الرحمن عزام » و « عبد القادر الباسل » و « منصور فهمى » و « محمد على علوبة » وساندهم السوريون المقيمون فى مصر .وحينما ووجهوا بمعارضة من دعاة القومية وعلى رأسهم « طه حسين » ، شنوا هجوما عنيفا

---

(٢٦) د . محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ١٧٩ .

أثبتوا فيه أن القومية العربية لا تحول دون الشعور بالمصرية ، وأثبتوا أن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية • ولما كانت هذه الفكرة قد نشطت فى العالم العربى ، ولعدم معارضة الحكام فى مصر والبلاد العربية لها لكونها تحافظ على الكيانات السياسية ، أضف الى ذلك عدم معارضة الغرب لها وهو أمر مفهوم ضمنا فقد كان لها نصيب أكبر من الذيوع على حساب الدعوة للفرعونية والاتجاه الاسلامى[٢٧] •

وفى أواخر العقد الرابع قامت الحرب العالمية الثانية ، وتوالت الهزائم على الحلفاء فى سنيها الأولى الأمر الذى شجع القوى المعارضة للانجليز فى مصر أن تزداد نشاطا وانتشارا ، وترتفع الصيحات المؤيدة لدول المحور ، وتقوم ثورة « رشيد عالى الكيلانى » فى العراق سنة ١٩٤١ م وتزداد الثورة ضد الفرنسيين فى سوريا ولبنان وبخاصة بعد وقوع فرنسا فى يد ألمانيا • أمام كل هذه الظروف أيدت بريطانيا أسلوبا حمل فى ظاهره التودد للعرب فأعلن«ايدن»وزير خارجيتها فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ أول اعلان عن وحدة عربية سياسية « ان روابط الصداقة بيننا وبين العرب ترجع الى زمن بعيد فلنا بينهم أصدقاء عديدون كما أن لنا بينهم أصدقاء حميمين • لقد كان من أعز أمانى عدد كبير من مفكرى العرب وقادة الرأى

---

(٢٧) د . احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى ص ٩٠ .

أن تنعم الشعوب العربية بوحدة أوسع مدى مما بلغته الآن ، ونحن لا يسعنا الا الاستجابة الى ندائهم لأن تقوية الروابط الاقتصادية والثقافية بل والسياسية أيضا بين الدول العربية أمر أعتبره فى الحقيقة طبيعيا وعادلا ولهذا فان حكومة جلالة الملك تعلن أنها ستناصر كل مشروع يرمى الى تحقيق هذه الأغراض متى كان المشروع حائزا لرضاء الجميع »[٢٨] .

وعلى أثر ذلك التصريح تحرك رؤساء الحكومات العربية للاجتماع من أجل التنفيذ ، لكن وجود رابطة عضوية بين الفكرة العربية والاستعمار البريطانى الذى أراد أن يستفيد على سبيل المناورة قد أثار الشكوك لدى كثير من المفكرين فى مصر ، وان كان البعض ينفى ذلك الارتباط بحكم أن المناورة حالة مؤقتة وليست سوى مصادفة خلقتها ظروف الحرب وأن الوحدة العربية حالة دائمة من الممكن أن تصبح ضد بريطانيا[٢٩] .

ومن جهة أخرى لم يمنع هذا الارتباط الجماعات الاسلامية من تأييد هذا الاتجاه باعتبار أنه نواة لوحدة اسلامية ، فى حين عارضه اليساريون حيث ربطوا بينه وبين الاتجاه الرجعى وفضلوا عليه الاقليمية[٣٠] . على أنه اذا لم يكن لاعتراض اليساريين تأثير واضح على مسيرة الفكرة فان الجماعات الاسلامية بتأييدها

---

(٢٨) محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية ص ٣٤٦ .

(٢٩) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٦٤ ؛ ١٦٥

(٣٠) المرجع السابق ص ١٦٥ .

المحدود كان لها أثر واضح على هذه المسيرة مما دعا بعض دعـاة القومية العربية واليساريين الى التحذير من محاولة الاستعمار اعطاء الصبغة الدينية وابعادها عن صبغتها القومية وتحويلها الى جامعة اسلامية بحجة أن ذلك له خطورته على مسيرة النضـال العربى حيث سيؤدى الى اثارة أو ثورة الأقليات الدينية فيضعف هذا النضال وفى نفس الوقت يعطى فرصة للاستعمار الغربى للتدخل باسم حماية هذه الأقليات[٣١] .

وفى مصر لم يسبق لحزب الوفد ــ حزب الأغلبية ــ أن أهتم اهتماما واضحا بالفكرة العربية ، لكن اهتمامه جاء بعد تصريح « ايدن » حيث أعلن على لسان « صبرى أبو علم » سنة ١٩٤٣ الترتيبات الخاصة للجامعة العربية المزمع عرضهـا على الملوك والرؤساء العرب . ولم يبد أى اهتمام بعروض بعض أعضاء مجلس النواب التى تطلب بأن تكون الوحدة العربية وحدة شعبية وليست وحدة حكومات ، وأن تشترك الشعوب العربية فى مباحثات الوحدة[٣٢] .

على أى حال كانت نتيجة المداولات بين الحكومة فى مصر وسائر الحكومات العربية أن اجتمعت وفود كل من مصر وسوريا ولبنـان والعراق وشرق الأردن فى الاسكندرية فى سبتمبر

---

(٣١) عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانيـة ص ٢٨٣ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٨١ . ، د . صلاح العقاد : المرجـع السابق ص ١٦٦ .

سنة ١٩٤٤ وأصدرت فى ٧ أكتوبر من نفس السنة قرارا تمهيديا « بروتوكول » بتأليف رابطة أو منظمة اقليمية تجمع بين حكومات الدول العربية المستقلة باسم « جامعة الدول العربية »[٣٣] . ولقد حمل هذا القرار فى طياته عوامل ضعفه ــ بل فشله ــ منذ اليوم الأول لصدوره حيث تضمن مبدأين هامين ، الأول : ألا ينتهج أعضاء الجامعة فى سياستهم خطة من شأنها أن تضر بصالح الجامعة ، والثانى ينص صراحة على أن تحترم الدول الأعضاء نظم الحكم القائمة فى كل منها وألا تتدخل فى الشئون الداخلية الخاصة بها[٣٤] . واستمرت المداولات بين الحكومات العربية حتى تم التوقيع على ميثاق الجامعة فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ . وقد خلا هذا الميثاق من عديد من الأمور الهامة التى كانت فيما بعد ــ وربما حتى الآن ــ من عوامل ضعفها ، فقد أهمل شئون الدفاع المشترك ، كما ترك لكل دولة حرية تنفيذ قرارات الجامعة ، كما رأى احتفاظ الجامعة بصور المعاهدات التى تعقد بين الأقطار العربية دون أن تناقشها ، فضلا عن خلوه من تكوين

---

(٣٣) محمد رفعت : المرجع السابق ص ٣٥١ . ، عاصم الدسوقى : المرجع السابق ص ٢٨٢ . ، د . احمد سويلم العمرى : دراسات سياسية للمجتمع العربى ص ٢١٢ .

(٣٤) استغنى عن المبدأ الأول فى ميثاق الجامعة بعد ذلك واكتفى بما جاء فى المادة الثانية من هذا الميثاق وهو ان الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها. محمد رفعت : المرجع السابق ص ٣٥٣ .

لجنـــة للاشراف على تنفيذ القرارات واقتراح العقوبـــات •

وبالنسبة للدول العربية التى تجاهد من أجل استقلالها اقتصر على المشاركة فى اصلاح حالها وقبول عضويتها ؛ ويرى البعض أنه كان من الواجب أن يزكى الميثاق الناحية الروحية عند مجموع العرب من المسلمين حتى تنعم الجامعة بالتأييد الشعبى منذ البداية • وقد ظهر الأثر الأول لهذه العوامل فى التجربة الأولى التى خاضتها الجامعة والتى لم تبعد عن تاريخ ظهورهـــا بسنوات ثلاث وهى حرب فلسطين •

وعلى الرغم من أن أصحاب الفكرة الاسلامية كانوا الأكثر تحمسا للقتال ضد اليهود ؛ الا أن ما أسفرت عنه الحرب من هزيمة بشعة للعرب قد تحملته الجامعة العربية وحدها ؛ وظل له تأثيره على مسار الفكرة العربية ؛ ومسار الحكومات العربية كذلك • وقد دلت المذكرة التى تقدم بها « ناظم القدسى » رئيس وزراء سوريا سنة ١٩٥١ على مدى الضعف الذى ألم بالجامعة وأن « العرب متفرقون وضعفاء ومتخلفون مما لا يجعل لهم شأنا فى الميدان الدولى ، ولا بد للدول الصغيرة من تكتل يربط بينها بصلات قانونية وثقى يتبين أثرها الفعال فى السلم ولا يشـــك فى صمودها فى الحرب » ؛ وقال ان الخطر اليهودى سيلجىء العرب بعد تمزيقهم للشرق أو للغرب مما يبقى اليهود فى فلسطين فى الحالتين • وتقدم بمشروع لتوحيد العرب قال فيه : « ان الوعى القومى يسبق السياسة فى العالم العربى وهذا الوعى لن

يغتفر التمادى فى سياسة جرت عليه نكبة فلسطين وقد تجر عليه أدهى منها ، ولقد خيبت الجامعة العربية آمال العرب وكانت اسرافا فى المظاهر والأقوال وجدبا فى النتائج والأعمال لأنهـا لم تسلك الطريق الانشائى فى أى حقل من الدفاع أو الاقتصاد أو الثقافة أو الاجتماع » .

كما دعا وزير خارجية العراق فى يناير سنة ١٩٥٤ الى اتحاد فعلى بين الدول العربية الأمر الذى يدل على عجز الكيان العربى القائم الممثل فى الجامعة[٣٥] .

ولقد تعرضت الجامعة ــ وما زالت ــ لعديد من الهزات مما جعل بعض الأصوات تنادى بحلها ، بل وبعض الدول العربية بالتهديد للانفصال عنها أو على الأقل مقاطعتها .

ويمكن بمعنى عام القول بأن القومية عند العرب قـد نهضت على أسس ثقافية لاعلى أسس عرقية كما كانت فى أوروبا ، وأنهـا فى مرحلتها الأولى قد تمخضت عن الدولة الاقليمية التى تحكمها أسرة والتى ارتبطت بالأمة من خـلال مقاومة النفوذ الأجنبى ، وأنه ينبغى فى المرحلة التالية انتقـال السلطة من الأسرة الى الأمة لتصبح ارادة الأمة هى الارادة العليا التى تقرر المصلحة القومية ، وأن يكن العامل الدينى « الاسلامى » من الأسس الهامة والجوهرية لصياغة هـذه

---

(٣٥) محمد رفعت : المرجع السابق ص ٣٦٨ .

الارادة وبناء هذه القومية دون خشية من معارضة الأقليات الدينية أو القومية التى ستنعم بنتاج هذا الاتجاه[٣٦] ، ولكى يمكن التغلب على الفوارق الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى تشكل فى مجموعها عقبات فى طريق الوحدة — أى وحدة — التى لا ترفع شارة اسلامية .

* * *

(٣٦) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٤٠ ، ٤١ . ، د . نور الدين حاطوم : محاضرات عن حركة القومية العربية — معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٧ ص ٢٢ .

أهم المصادر والمراجع

المراجع العربية :

ـ **ابو الاعلى المودودى :**
حقوق أهل الذمة فى الدولة الاسلامية ـ دار الفكر بيروت . بدون تاريخ .

ـ **د . احمد سويلم العمرى :**
المجتمع العربى وتطوراته الاجتماعية والسياسية ـ دراسات سياسية ـ الانجلو المصرية سنة ١٩٦٣م

ـ **د . احمد عبد الرحيم مصطفى :**
تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

ـ **د . احمد عبد الرحيم مصطفى :**
تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

ـ **برنارد لويس :**
الغرب والشرق الأوسط ، ترجمة : د . نبيل صبحى ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

ـ **بويد شيفر :**
القومية ، ترجمة : جعفر خصباك وآخرين ـ بيروت سنة ١٩٦٦ م .

ـ **د . جلال يحيى :**
العالم العربى الحديث ـ المدخل ـ جـ١ دار المعارف سنة ١٩٧٩م .

ـ د . جلال يحيى :
مصر الحديثة (١٥١٧ ـ ١٨٠٥) ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ بدون تاريخ .

ـ د . جمال الدين محمد محمود :
قضية العودة الى الاسلام فى الدولة والمجتمع ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة سنة ١٩٧٦ م .

ـ د . رؤوف عباس :
المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة .

ـ د . زكريا سليمان بيومى :
الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ ـ ١٩٤٨) ، مكتبة وهبة ، القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

ـ د . زكريا سليمان بيومى :
الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية (١٩٠٧ ـ ١٩٥٣) ـ القاهرة سنة ١٩٨١ م .

ـ ساطع الحصري :
محاضرات فى نشوء القومية ـ القاهرة سنة ١٩٥١ م .

ـ د . سميرة بحر :
الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

ـ د . سميرة بحر :
مدخل لدراسة الأقليات ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

ـ د . شوقى ضيف :
فصول من الشعر ونقده ـ القاهرة سنة ١٩٧١ م .

ـ د . صلاح العقاد :
الفكرة العربيـــة فى مصر ـ بحث بمجلة الجمعيـــة التاريخية المصرية سنة ١٩٧٣ م .

ـ طارق البشرى :
المسلمون والأقباط فى اطار الجمـــاعة الوطنيـــة ـ القاهرة سنة ١٩٨٠ م .

ـ عاصم الدسوق :
مصر فى الحرب العالمية الثانية ـ القاهرة سنة ١٩٧٥م .

ـ عباس العقاد وآخرون :
صـــوت مصر ـ هيئـــة الكتـــاب ـ القاهرة مايو سنة ١٩٧٥ م .

ـ د . عبد الرحمن البزاز :
بحوث فى القومية العربية ـ القاهرة سنة ١٩٦٢م .

ـ د . عبد العظيم رمضان :
تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٢٧) م .

ـ د . عبد العظيم رمضان :
صراع الطبقات فى مصر ـ المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٨م .

ـ د . عبد الكريم رافق :
العرب والعثمانيون (١٥١٦ ـ ١٩١٦) ـ دمشـــق سنة ١٩٧٤ م .

ـ عبد المجيد عبد الرحيم :
حول القومية العربية . القاهرة سنة ١٩٦٦م .

ـ د . عبد المنعم ابراهيم الدسوقى الجميعى :
عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ـ القاهرة سنة ١٩٨٠ م .

ـ على المحافظة :
الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ط ٢ بيروت ـ سنة ١٩٧٨ م .

ـ عيادى العبد العيادى :
المسيحية والقومية العربية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

ـ مجيد خدورى :
الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ـ المتحدة للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢ م .

ـ محمد رفعت :
التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ـ دار المعارف سنة ١٩٦٤ م .

ـ د . محمد زكى العشماوى :
الأدب وقيم الحياة المعاصرة ـ ط ٢ ـ القاهرة سنة ١٩٧٤م .

ـ محمد عزة دروزة :
نشأة الحركة العربية الحديثة ، المكتبة العصرية ـ بيروت سنة ١٩٤٩م .

ـ محمد على علوبة :
مذكرات سياسية واجتماعية ـ دار الوثائق القومية .

ـ د . محمد عمارة :
العروبة فى العصر الحديث ـ القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

ـ د . محمد عمارة :
المرأة والمساواة فى رأى الطهطاوى ـ مجلة الهلال ـ نوفمبر سنة ١٩٧٦ م .

ـ د . محمد محمد حسين :
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ جزءان ـ دار الارشاد ـ بيروت سنة ١٩٧٠ م .

ـ د . مصطفى خالدى ، د . عمر فروخ :
التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ط ٥ ، بيروت سنة ١٩٧٣م .

ـ مصطفى الشهابى :
محاضرات في القومية العربية ـ معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٨م .

ـ د . نور الدين حاطوم :
تاريخ الحركات القومية ـ دار الفكر الحديث ـ ج ١ ـ بيروت سنة ١٩٦٧ م .

ـ د . نور الدين حاطوم :
محاضرات عن حركة القومية العربية ـ معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٧ م .

* * *

المراجع الأجنبية :

— Haurani, Albert : Arabic thoughts in the Liberal Age, Oxford University Press . London, 1967.

— Kushner, David : The rise of the Turkish nationalism 1876 — 1908. London , 1977.

— Nuseibeh, Hazem Zaki : The ideas of Arab nationalism. U.S.A. 1957.

— Smith, Wilfred Cantwell : Islam in modern history, U.S.A. 1959.

Public Record Office . Fo :

— 407 — 174 : No . 17.

— 407 — 175 : No . 30.

— 407 — 175 : No . 57 .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

مقدمـــة . . . . . ٣ — ٤

الفصل الأول : **القومية** . . . . . ٥ — ٢٠

تعريفها . . . . . ٧ — ٩

طبيعة الانتماء عند المسلمين . . . . ١٠ — ١٣

بين الوطنية والاسلامية . . . . . ١٣ — ٢٠

الفصل الثاني : **تطور فكرة الوطنية في مصر الحديثة** ٢١ — ٣٢

الفصل الثالث : **الفكرة القومية في مصر** . . ٣٣ — ٤٤

الفصل الرابع : **الفكرة العربية في مصر** . . . ٤٥ — ٦٥

المراجع العربية . . . . . ٦٦ — ٧٠

المراجع الأجنبية ٧١

محتويات الكتـــاب ٧٢

* * *

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٢٣١٦ / ٨٣

الترقيم الدولي ٦ — ١٦ — ٢٠٧ — ٩٧٧